Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالحكمة القائلة : لا شيء ينتج من لا شيء ، حتى آدم خلقه الله من مادة سابقة هى التراب ! ! أما الحكاية الطريفة فبطلتها فتاة أمية فى الرابعة والعشرين كانت تهذى تحت وقدة الحمى ، بعبارات لا يتصل بعضها ببعض إلا قليلا أولا يتصل مطلقا ، أما وجه الإثارة فمن أن هذا الهذيان كان بلغات لا تعرفها الفتاة ولا تسمعها : كان باللاتينية والإغريقية والعبرية ، وكانت تتحدثها فى أكثر النغمات تعاليا وأكثر أوجه النطق وضوحا ! ! [٤] دعنا من دهشة الناس وتأويلاتهم الطائشة ، فقد ثبت أن الفتاة كانت إبان طفولتها فى خدمة قسيس صالح ، وكان يقرأ فى خلوته بصوت عال كتبا بهذه اللغات السابقة ، وقد تأكد المصدر البعيد لما تهذى به الفتاة بالمطابقة بين جملها المتقطعة وما فى هذه الكتب . « فهذه الحالة المحققة تقدم الدليل والشاهد معا على أن آثار الإحساس يمكن أن توجد لزمن غير محدد فى حالة خمود بنفس النظام الذى انطبعت به أصلا » [٥] .

لست أدرى على أى وجه نخدم قضية قانون الترابط أو تداعى المعانى associationism إذا ذكرتنا حادثة الفتاة ، « بحادثة » قصيدة « قبلاخان » التى قيل إن كولردج حلم بها كاملة فى نومه ، وأنها لا تزال تحتفظ بكثير جدا من خصائص الحلم الذى ولدت فيه [٦] سيقول عالم النفس شيئا فى القصيدة الحلم ، ولكن ريتشاردز ، الذى لا يطمئن كثيرا لهجمات النفسانيين على الشعر واهتمامهم المسرف بالدوافع ، يرشدنا إلى الكتاب الرابع من ملحمة « الفردوس المفقود » لملتون ، ففيه المصادر الحقيقية للكثير من الصور والعبارات فى القصيدة « وعلى هذا المنوال استمد الشاعر مادة القصيدة كلها تقريبا من هذا المصدر أو ذاك . . ولعل فى هذا المثل للعمليات اللاشعورية التى تدور فى ذهن الشاعر عبرة لنا وتحذيرا لمدى الأخطار التى تكتنف على الأقل إحدى طرق تطبيق علم النفس فى ميدان النقد » [٧] أما علم النفس فإنه يبدى صفحته بتفصيل أكثر ، يبدأ من تقبل « قبلاخان » كحقيقة واقعة ، لكنه يضع عليها تحفظات ، لا تتشكك فى صدق الشاعر ، وإنما فى وعيه للفرق بين ما يراه فى منامه ، وما يرويه فى يقظته مستهديا ما حلم به فيتساءل : ماذا يحملنا على قبول دعوى الشاعر أنه شهد فى الحلم قصيدته

---

(٤) النظرية الرومانتيكية فى الشعر ص ٩٥ .
(٥) السابق ص ٩٧ .
(٦) موريس بورا : الخيال الرومانسى ص ١٧ .
(٧) مبادئ النقد الأدبى : ص ٧٠ و ٧١ .